جيشاً وطنياً هو جيش وطني عقائدي استند إلى عقيدة واضحة تأسست عبر عقود من الزمن، نحن نعرف بأنه لا يمكن لجيش أن يصمد بمثل هذه الحرب مهما أتاه من دعم خارجي، إن لم يكن هناك احتضان شعبي، هل من المعقول أن يحتضن الشعب جيشاً يقاتل بعقيدة ليست عقيدة وطنية بالأساس، لا تنتمي لهذا الوطن، لا تنتمي لهذا المجتمع، ولا تتوافق مع عقيدته ومع انتمائه القومي؟ هذا مستحيل، بكل الأحوال أبناء هذا الجيش هم أنفسهم أبناء هذا المجتمع.

وتابع الرئيس الأسد: هذه النقطة، وهي قوة الجيش من خلال عقائديته، فهمها أعداؤنا، وكل العمل السياسي بالمؤتمرات وبالحكومة الانتقالية وبالفيدرالية، وبكل ما تسمعونه من مصطلحات يعبر عنه بشيء وحيد كان مطلوباً وهو ضرب هذه الفكرة، طبعاً الجيش كرمزية، ولكن هم يستهدفون المؤسسات ويستهدفون المجتمع، لأننا نتحدث عن عقيدة واحدة، كل الحرب كانت باتجاه نزع فكرة القومية ابتداء بالدستور، أن يكون اسمها الجمهورية السورية، أن يكون جيشاً سورياً، أن يسحب من كل المؤسسات وفي كل المراحل أي شيء عقائدي مهما يكن وفي أي مكان، فإذاً عبر استهداف الجيش استهدفوا الدولة، وعبر استهداف الجيش والدولة استهدفوا المجتمع.

وقال الرئيس الأسد: ما هو العنوان الذي وضع؟ جيش محترف، أي إن الجيش الذي يقاتل الآن ويخوض كل هذه المعارك هو جيش هواة، مجموعة من الهواة الذين أحبوا لعبة الحرب ونزلوا إلى القتال لأنهم يريدون أن يقاتلوا أياً كان، فقط من أجل الهواية، هذا ما يحاولون تسويقه، بالنسبة لهم الجيش المحترف هو الجيش الذي يقبع داخل الوطن بانتظار الإشارة من الخارج لكي يتحرك بالانقلابات ضد الحكومات الوطنية، بالنسبة لهم الجيش المحترف هو الجيش الذي يغطي الحكومات العميلة عندما تقوم بعمل سياسي فيه تنازل عن السيادة وعمل ضد مصالح الشعب، لذلك مقابل هذا التركيز كنا في سورية متمسكين بالهوية تمسكاً كاملاً ولم يكن هذا الموضوع خاضعا للنقاش ولا للتنازل لا من قريب ولا من بعيد، لأنني كما قلت في المقدمة الهوية هي أساس وجود أي مجتمع من المجتمعات، تمسكنا بها رسمياً وشعبيا، تمسكنا بها سياسياً، ثقافياً، اجتماعياً، وبالتالي في المحصلة وطنياً.

لا تنازل

وأضاف الرئيس الأسد: اليوم أؤكد مرة أخرى بعد سبع سنوات من هذه التضحيات أننا لا يمكن أن نفكر ولو لثانية واحدة بأن نقدم تنازلاً يتعلق بموضوع العقيدة والانتماء القومي لسورية كرمى لأعين حثالات القرن الحادي والعشرين من الإخونجية وربيبتيهم «داعش» «والنصرة»، أو أي من المجموعات الأخرى سواء الخارجون عن القانون أو المجموعات التي تعمل لصالح الأميركيين والغرب في منطقتنا.

وتابع الرئيس الأسد، إذاً ما هو المطلوب لتحسين العمل القومي إذا أردنا أن نرى نتائج؟ لأننا لا نتحدث بالقومية بحالة عاطفية، كما قلت في البداية، نحن نريد عملاً، القومية بالنسبة لنا هي إنتاج وتطبيق وليست حالة عاطفية أو انتماء رومانسياً أو ما شابه، أن نلتقي مع بعضنا كأبناء انتماء واحد من الناحية السياسية والثقافية والاجتماعية فهذا شيء طبيعي، أن نجلس هنا لنتناقش بمختلف الأمور، ولكن أن نلتقي ونتحاور لا يعني أننا حققنا النتائج، في الحقيقة النتائج تبدأ بآليات التطبيق التي نضعها لاحقا، أو التي نبدأ بتطبيقها بناء على حواراتنا، العمل برأيي يبدأ عندما نتمكن من محاورة الآخرين، لعقود ونحن نحاور بعضنا البعض، ولكن هل حاورنا الآخرين؟ هل فندنا أفكار الآخرين؟ لم يحصل هذا الشيء.

البداية بالحوار

وأضاف الرئيس الأسد: نلتقي في الملتقيات ونتحاور مع بعضنا ونصدر البيان، أي إن من يسمع هذا البيان أو من يقتنع به أو من يتبناه هم أشخاص يفكرون بنفس الطريقة، تصادف أنهم لم يكونوا موجودين في القاعات نفسها، ولكنهم موجودون معنا في نفس الفكر، ما الذي فعلناه لكي نستعيد الآخرين، أعتقد أن نقطة البداية تبدأ بالحوار مع المجموعات الأخرى التي شذت، أولئك الآخرون الذين وضعوا أنفسهم أو وضعتهم الظروف في مكان مناقض لانتمائهم الطبيعي، وفي مكان مناقض لمصالحهم ومصالح وطنهم دون أن يدروا، في أغلب الحالات دون أن يدروا، استرداد هؤلاء هو بداية العمل الصحيح من أجل تمتين العمل القومي، لأنني أشبه أولئك الأشخاص دائماً بالخلايا السرطانية التي هي بالأساس خلايا طبيعية داخل الجسد ولكنها تحولت نتيجة ظروف مرضية مختلفة، فأصبحت أعداء للخلايا الطبيعية في نفس الجسد.

وقال الرئيس الأسد: اليوم بسبب تلك الشرائح هناك طبخة مسمومة كانوا هم وقوداً لها، طبخها الغرب والاستعمار، ونحن اليوم نقتات من سموم هذه الطبخة، أولا علينا أن نبطل مفعول هذه السموم بالحوار مع هؤلاء، علينا أن نتحدث مع كل شريحة بحسب المكان الذي ذهبت إليه، أولاً علينا أن نخاطب المجموعة المقتنعة بالتعارض بين الإسلام والعروبة بأنه لا يوجد أي تعارض بين الانتماءين، كلاهما يصب باتجاه الآخر، كلاهما يعزز الآخر، كلاهما لا يتعارض مع الآخر، ويجب أن يكون هناك حوار مدخله المنطق الذي يستخدمونه، بمعنى هل يمكن أن يتمكنوا من فصل الإسلام عن العروبة وهم لم يتمكنوا من فصل عروبة الرسول الكريم، العربي، عن دينه وهو تباهى بأكثر من حديث بانتمائه للعروبة، مع تبدل العروبة خلال العصور، تبدل المفهوم ولكن الجوهر واحد، هل يتمكنون من فصل العروبة عن الإسلام قبل أن يتمكنوا من فصل مضمون القرآن الديني عن لغته، «إنا أنزلناه قرآناً عربياً»، المسألة واضحة، لسنا بحاجة للآية كي نعرف أنه عربي، نحن نتحدث لغة عربية، العالم كله يعرف بأن لغته عربية، ولكن للتأكيد على هذا الشيء هناك ربط واضح بين العروبة والإسلام، لا بد من مناقشة هذا المحور مع تلك الشرائح لكي نستعيدها إلى المكان الطبيعي.

حالة حضارية

وأضاف الرئيس الأسد: من الضروري جداً الآن تفنيد الطرح العرقي وأنتم تعيشون الظروف الحالية، هناك من يتحدث عن الفيدرالية، وعن القوميات، وفيدراليات على أساس قومي، طرح هذا الموضوع في سورية والعراق والجزائر وفي دول المغرب العربي، في مناطق متعددة، يجب أن نؤكد أن مفهوم العروبة هو مفهوم حضاري شامل، أي إن العروبة أكبر من أن تكون عرقية، المفهوم الحضاري يشمل الكل، يشمل كل الأعراق والأديان، الطوائف، العروبة لم يبنها العرب، خاصة في المناطق المتنوعة كسورية ومنطقة بلاد الشام، وأعتقد في معظم الدول العربية، العروبة هي حالة حضارية ساهم فيها كل من وجد في هذه المنطقة دون استثناء، وبالتالي التراث العربي والثقافة العربية هما مجموع تراث وثقافات كل الأقوام التي وجدت في هذه المنطقة عبر التاريخ القديم والحديث، هي حالة ملتصقة بالجميع لا تتعارض مع أحد ولا تلغي أحداً، يمكن لأي شخص أن ينتمي لهذه القومية وأن ينتمي لأي قوم آخرين ولديه ثقافة وعادات وتقاليد ولغة وأي شيء آخر ولكن هو ينتمي بحكم التاريخ والجغرافيا والمصالح، والأهم اللغة التي تجمعنا جميعا.

وتابع الرئيس الأسد: كلنا نتحدث بلغة عربية في هذه المنطقة، لا نتحدث بلغات ولو كانت هناك لغات أخرى، فلذلك اللغة العربية والقومية العربية هي الجامع لكل الأعراق والطوائف والأديان، وبنفس الوقت هي تحافظ على خصوصية كل واحدة منها، هذا الحوار ضروري لأن الورقة المقبلة، بعد أن سقطت ورقة التطرف في هذه المنطقة لأنها افتضحت في الخارج، سوف يركزون، وكما ترون بدؤوا بالتركيز على موضوع القوميات والأعراق وستكون هي الورقة التي سنفاوض عليها في سورية وفي العالم العربي قريباً.

وقال الرئيس الأسد: أما لمن أنكر العروبة كرد فعل على أداء الدول العربية، فيجب أن نؤكد أن تآمر هذه الدول العربية على القضايا العربية وعلى الشعب العربي لا يعني بأنها تنتمي لهذه القومية، وكذلك هؤلاء المسؤولون العرب، أن ننتمي لهوية لا يعني أن ننتمي لنظام سياسي، قد نتفق وقد نختلف مع هذا النظام السياسي، لا يوجد رابط على الإطلاق بين الأولى والثانية، أن يتآمروا علينا لا يعني أن نهرب من الفكرة، من الانتماء الحقيقي، ونسلم الراية لهؤلاء وهم ليست لهم علاقة لا بالعروبة ولا بالدين ولا بمجتمعات هذه المنطقة في كل ما قاموا به من أداء، البعض كرد فعل يريد أن يخرج من فكرة القومية لأنه يعتقد أنها فكرة سيئة أو نتائجها سيئة، يجب أن نوضح لهؤلاء بأن غياب الانتماء لا مصلحة لأحد فيه، لأن ما نعاني منه اليوم، من حالات تقسيمية طائفية أو عرقية؟ أحد أهم أسبابها، وربما يكون السبب الأساسي والأكبر والوحيد، هو غياب الشعور القومي، لماذا؟ لأن الإنسان بطبعه، بغريزته يبحث عن انتماء، ولكن عندما يغيب الانتماء الجامع فلا بد له من انتماءات أخرى يبحث عنها، ستكون وهنا تظهر الانتماءات الضيقة وبالتالي التقسيمية التي تبدأ بتقسيم العقول وتنتهي بتقسيم الجغرافيا والأوطان.

وأضاف الرئيس الأسد: أما فيما يتعلق بربط العروبة بالتخلف، فلا بد أن نكون السباقين لدعم وتطبيق الأفكار التطويرية، وأن يكون لدينا برنامج متوافق مع هذا العصر، ومتوافق مع مصالح الشعوب.

الديمقراطية

وتابع الرئيس الأسد: هناك جانب له علاقة بالانفتاح يرتبط بالديمقراطية، الديمقراطية والمشاركة هي شيء أساسي يجب أن نعبر عنه، ولكن يجب أن نعلم بأن الديمقراطية لكي تكون بناءة لا بد أن تكون مرتبطة بالانتماء الوطني والقومي ولا يمكن أن يكون أحدهما بمعزل عن الآخر، لماذا أقول هذا الكلام؟ لأنه في إطار ردود الأفعال التي تحصل الآن، هناك من يطرح فكرة العودة للانتماء القطري، نحن في سورية ننتمي لسورية وانتهى الموضوع، هذه هي حدودنا السياسية، حسنا، ماذا يعني أن أنتمي للقطر؟ يعني أولا أننا كنا مخطئين ونحن نشتم الاستعمار على مدى مئة عام لأنه قسم المنطقة، هذا يعني بأن الاستعمار قام بعمل صحيح، يعني أن انتماءنا النهائي هو هذه الحدود السياسية، يعني أن نجتمع اليوم في مثل هذا اللقاء، نحن في سورية وربما في لبنان ودول بلاد الشام ونقدم اعتذاراً لسايكس بيكو لأن ما قاموا به صحيح، هناك منطق غير سليم، عفوي سطحي، ارتجالي في طرح هذا الموضوع، لذلك لا نستطيع أن نفصل الانتماء عن التطور، عن الديمقراطية، عن المشاركة، وهنا نرى كيف أن فكرة القومية هي فكرة رابطة لكل عناصر المجتمع، وخاصة عندما نريد أن نسير باتجاه المستقبل، المستقبل يعني الأفضل، في هذه الحالة فقط الحوار حول الموضوع القطري، بكلمة مختصرة، أن نقبل بالأمر الواقع جغرافيا، أننا قسمنا وقبلنا بأوطاننا بحدودها الحالية لا يعني أن نقبل بتقسيم الهوية، الجغرافيا تقسم، الاقتصاد يقسم، كل شيء يقسم، أما الهوية فهي دائماً ثابتة أو أنها تزول وتنتهي، ثابتة لا يعني بأنها جامدة، هي تتطور بتطور المجتمعات، وكلما انضمت إليها مجموعات وأطياف أخرى ازدادت غنى، فإذاً هي تتطور دائماً وتنمو وتكبر، وبخلاف ذلك، فإنها في حال اندثار وضمور وزوال.

الشباب

وقال الرئيس الأسد: النقطة الأخيرة، علينا أن ننقل هذا الحوار من إطار حوار النخب والحوار السياسي إلى الحوار مع الشرائح الأوسع وخاصة الشباب، وبشكل أهم في الجامعات، علينا أن نحاورهم حول كل المفاهيم، المفاهيم البالي منها، القديم الذي لم يعد صالحاً لهذا العصر، والمفاهيم الحديثة ولكن المدسوسة، نحن اليوم نعيش في عصر الانترنت وكل مواطن تقريباً يخضع للقصف الفكري والثقافي بشكل مستمر وعلى مدار الساعة، لا توجد ضوابط على هذا النوع من الإعلام، بالإضافة للفضائيات، ولا يمكن أن يوجد في المستقبل أي ضابط من الضوابط، هناك ضابط وحيد هو رجاحة العقل، ولا يوجد شيء أهم من الحوار من أجل تحصين العقل وتحصين المجتمعات، فيجب علينا أن نفكر لاحقا بآليات لنقل هذا الحوار، بعد أن نكون قد وضعنا التصورات، إلى المنابر الأخرى لنتحدث مع الشرائح الأخرى ولنسمع أفكاراً مناقضة لأفكارنا، وهذا يطورنا وبالوقت نفسه يطور الآخرين.

وأضاف الرئيس الأسد: وطبعاً نحن في سورية مستعدون للبدء في هذا النشاط، وقمنا بنشاطات مهمة جداً في هذا الحوار خلال الحرب، وليس قبلها، لأن الحرب دفعتنا للقيام بمثل هذه الحوارات، وقد حققت نتائج كبيرة، خاصة فيما يتعلق بالعروبة والعلمانية، الدين والعلمانية، العروبة والإسلام، العروبة والدين، هذه العناوين كانت محور نقاش على مختلف المستويات وكانت لها نتائج مهمة ساعدت في تحصين المجتمع السوري، لكن الحوار حول المصطلحات موضوع معقد، وهو بحاجة للقيام بعمل فكري على المستوى القومي لأن اختراق مجتمعاتنا بدأ بمصطلحات، ونحن مع كل أسف دائماً نأخذ المصطلح ونردده بشكل ببغائي من دون أن نعرف ما هو مضمونه، وبعد فترة يتحول إلى جزء من اللاوعي بالنسبة لنا، ويصبح جزءاً من شخصيتنا، ونصبح منفذين لأجندات خارجية، ثقافياً وسياسياً من دون أن ندري.

وتابع الرئيس الأسد: أعطيكم مثالاً بسيطاً جداً، كلمة التعايش، في سورية كان الكثيرون يتباهون بكلمة «تعايش»، وكلما أتى وفد أجنبي يمتدحون التعايش الموجود بين مكونات المجتمع السوري، وربما تكون هذه الكلمة مطروحة في دول عربية أخرى، أنا كنت أرفض هذه الكلمة والآن نرفضها بشكل رسمي، لأن التعايش هو علاقة بين مكونات متنافرة، أي أنني أرفضك ولكن أقبل بالتعامل معك، ولكن عندما تأتي الظروف لا أريدك أن تكون موجودا، أنت منفر لي وأنا منفر لك، هل نستطيع أن نشبه علاقة أعضاء الجسد الواحد بالتعايش؟ هل نستطيع أن نقول بأن اليد تتعايش مع القدم وأن القلب يتعايش مع الكبد ومع الكليتين؟ هذا المفهوم خطأ، عندما يصاب شخص برصاصة أو شظية ولا يستخرجها لأنها غير مؤذية فإن الجسم يغلفها بنسيج ويعزلها، ولكن يبقى اسمها «جسم غريب»، هذه هي فكرة التعايش، وعندما نقبل بهذا المصطلح، ومع كل أسف لا نحلله، فنحن نقبل بكوننا مجموعات متناقضة متنافرة ولكننا نعيش مع بعضنا البعض.

وقال الرئيس الأسد: هذا يؤكد أننا لا نستطيع أن نقوم بعمل سياسي إن لم نقم بالتوازي بعمل فكري، لدينا سياسيون قوميون موجودون معنا في القاعة ولدينا أيضاً مفكرون قوميون ولدينا إعلاميون قوميون، لا بد من أن تكون لدينا أشياء ربما تكون اختصاصية أكثر، أحياناً السياسي يتحدث بمصطلحات بحكم العادة، أي إنه لا يفهم مضمون هذا المصطلح، وهنا دور المفكر، أحياناً المفكر يتحدّث بلغة لا يفهمها سواه، وكذلك السياسي، وهنا دور الإعلامي الذي ينقل هذه المصطلحات ونتائج هذا الحوار وهذا التحليل والتركيب، بعد أن نفكك المصطلحات ونركبها، ننقلها لعامة الناس بلغة مبسطة ونخلق حواراً شعبياً في هذا الموضوع، الحوار على مستوى النخب وحده لا يمكن أن يؤدي إلا إلى نتيجة محدودة، فإذاً، علينا أن نفكر بآليات اللقاءات المقبلة التي من خلالها يمكن أن نكون أكثر تخصصا في مناقشاتنا للأمور.

وأضاف الرئيس الأسد: بالمحصلة، هذه الملتقيات هي بداية لما سنقوم به وليست النهاية، لا ينتهي عملنا بالبيان، بل يبدأ عملنا بعد البيان وأنا أريد أن نكون دائماً عمليين في هذه اللقاءات، لا تهم الرسميات والبروتوكولات ولا قيمة لها، من يجلس هنا ومن يجلس هناك لا قيمة له ولا قيمة للقطات الإعلامية، أنا شخصيا لا أهتم بهذه الجوانب ولا قيمة حتى للرعاية سواء رعاها رئيس أو ملك؟ القيمة الحقيقية هي لما ننتجه من أفكار، والأهم من ذلك لما نطبقه لاحقا من هذه الأفكار.

فرصة للحوار

وتابع الرئيس الأسد: أريد أن أختم بسؤال أو تساؤل أنتم تسألونه، هل من المعقول لمسؤول يقبع في قلب الحرب لسبع سنوات ويستقبل أشخاصا قدموا من مختلف الدول ولديهم العشرات وربما المئات من الأسئلة، أن يتحدث في كل شيء ولا يتحدث عن السياسة وعما يحصل في سورية وعن هذه المؤتمرات، لا قيمة للحديث عن أعضاء الجسد إذا كان الهيكل العظمي الذي يحملها ويثبتها في مكانها لتعمل بشكل صحيح متداعيا ومتهالكا، أنا أتحدث في هذا الكلام عن الهيكل العظمي لكل ما يدور في كل هذه المنطقة، وبعد أن أكون قد تحدثت عنه ننتقل الآن للحوار، أستطيع أن أتحدث لساعات، ٧ سنوات من الحرب وهناك أشياء كثيرة نتحدث بها، ولكن بالنسبة لهذا اللقاء هو فرصة للحوار وليس فرصة للخطاب، وبكل تأكيد الحوار دائماً أجدى وأغنى وسأبني كلامي في الجانب السياسي على الأحداث وعلى تساؤلاتكم وأفكاركم ومقترحاتكم، مرة أخرى أشكركم، وما تحدثت به هو بالنسبة لي مقدمة لأي شيء سياسي، الحديث بأمور السياسة دون هذه المقدمة ليس له جوهر ومعنى ولا يمكن أن تصل الرسالة بعمقها إن لم نفهم هذا الجانب، وخاصة نحن كأبناء تيار واحد.

الغرب كان بارعاً في أدائه وفي نصب الأفخاخ ونحن كنا بارعين في السقوط فيها والغرب بنى مخططاته على الوقائع والحقائق أما نحن فكنا دائماً نبني رؤانا على العواطف

علينا أن ننقل الحوار من إطار النخب والحوار السياسي إلى الحوار مع الشرائح الأوسع وخاصة الشباب

لا يمكن أن نفكر ولو لثانية واحدة بأن نقدم تنازلاً يتعلق بموضوع العقيدة والانتماء القومي لسورية كرمى لأعين حثالات القرن الحادي والعشرين من الإخونجية وربيبتيهم «داعش» «والنصرة»، أو أي من المجموعات الأخرى سواء الخارجون عن القانون أو المجموعات التي تعمل لصالح الأميركيين والغرب في منطقتنا

بعد أن سقطت ورقة التطرف في هذه المنطقة لأنها افتضحت في الخارج سوف يركزون على موضوع القوميات والأعراق وستكون هي الورقة التي سنفاوض عليها في سورية وفي العالم العربي قريباً

الديمقراطية والمشاركة شيء أساسي يجب أن نعبر عنه ولتكون الديمقراطية بناءة لا بد أن تكون مرتبطة بالانتماء الوطني والقومي